

العید... فرح أم مواجه وآلام؟!.... بواسطة راجية الرحمه

إنها ليست دعوة لتجاهل الصور السلبية ولا إلى التهويل من شأن التفاعل مع مواجه الأمة، لكنها دعوة إلى التوازن والاعتدال، وبالأخص في مواسم الأفراح والبهجة فلكل مقام مقال.

ودعوة إلى التعامل مع كافة أوتار النفس البشرية، مع الرجاء والخوف، مع الأمل والتوجس، مع الاطمئنان والقلق، مع العزيمة والجد والترفيه والترويح.

□ ع عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعث قالت: وليستا بمغنيتيه، فقال أبو بكر: أتمامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ - وذلك في يوم عيد- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا". [رواه البخاري ٩٥٢ ومسلم ٢٩٨].

يصور لنا هذا الموقف كيف كان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع

العيد، النبي القائد لأمته، المشغول بعمومها، الذي يرعى الصغير والكبير، يمتح نفسه وزوجته باللغو

المباح يوم العيد.

إنه المنهج النبوي الذي يتعامل مع الإنسان في كافة مواقفه، يتعامل معه في السراء

والضراء، ويتعامل معه في حال الفقر وفي حال الغنى، ويتعامل معه حين يولد ويخرج حياً للوجود وحين يودع

الحياة ميتاً.

يقدم للناس منهج الحياة في السلم، كما يقدم لهم منهج الحياة في الحرب، يريهم على

الرجاء كما يريهم على الخوف.

إن النفس تحتاج للجد والعزيمة فالجادون هم الذين ينجحون في الحياة، كما

تحتاج إلى قدر من الترفيه واللغو الذي يجمعها ويربدها، ولا يحول بينها وبين الإنتاج والعزيمة.

إن

مشروعية العيد في الإسلام دليل على حاجة النفس البشرية لقدر من اللغو والترفيه، بل إجماع النفس

والترويح عنها في العيد يتجاوز مجرد الجواز والإباحة، فهو مشروع؛ فالصيام يوم العيد يجرم، ولو صامه

أحد قضاء ليوم من رمضان لكان صومه باطلا ولم يجزئه هذا الصيام.

وفي وسط هذا الواقع الذي تعيشه الأمة

ما ييه حروب وصداعات، وما ييه مآس وفياضانات لا يطبق بعض الوعظ والخطباء التوازن والتحكم في مشاعرهم،

فتتحول خطبة العيد وما يليه إلى نواح على واقع الأمة وندب لها، وإلى اغتيال للفرح والاستبشار، فينكر

في حديثهم: لا يحق للأمة أن تفرح بالعيد وهي تقتل وتعا، ولا يحق لها أن تفرح والأقصى بيد اليهود، كيف

تستبشر وأعراض نساءها تنتهك وأطفالها يتمون.

يقول أحدهم:

العيد أقبل يا وليد فلا نك * فرحا به

أبدا فما هو عيد

ما العيد إلا أن نعود لدينا * حتى يعود نعيمنا المفقود

ما العيد إلا أن نكون كأمة

** فيها محمد لا سواه حميد

إننا نقدر مشاعر من قال هذه الأبيات فمشاعر الشعراء وعواطفهم وأحاسيسهم لا

يمك إخصاعها للمحاكمة المنطقية الفكرية.

وليس العتب على من يقول مثل ذلك أو يدعو الأمة إلى تذكر

مآسيها وأحوالها. لك العتب أن تتحول الحال وتقلب؛ فيكون الحديث عن العيد موسم استنارة الأتجاه والأحزان، وأن يوصف الفرحون بالعيد بأنهم متبلو المشاعر والأحاسيس، وأنهم فاقدون للغيرة على واقع الأيام والأرامل والأيتام.

فرح النبي صلى الله عليه وسلم بالعيد، وترك الحبشة يلعبون بالمسجد، وأذن في العيد بلهو لا يؤذن فيه بغيره، كل ذلك وليس المسجد الأقصى بل بيت الله الحرام بيد أهل الشرك والأنصاب، والأصنام والأوثان تملأ ربوع البيت، وتعلو الصفا والمروة والمشاعر التي أمر الله أن يذكر فيها وحده، ويكبّر ويثني عليه.

فرح صلى الله عليه وسلم بالعيد واستبشر ودعا لذلك، وفي مكة طائفة من

منهم قال عز وجل عنهم: (إلا ال [مسك] تض [عفيه من الرجال والنساء وال [ول] دان لا يس [تطيعون حيلة] ولا يه [تدون سبيلا]). [النساء: ١٨٩].

والذي قال عنهم في آية أخرى: (هم الذي كفروا وصدوكم [عنه

وال [هد] [ي] مع [كوف] أن يب [لغ] محله ولو [لا رجال مؤ] [منون ونساء مؤ] [منات لم] [تع] [لموهم] [أن] [فتصيبكم] من [هم] معرفة بغي [ر] [عل] [م] [ليد] [خل] الله في [رح] [منه] من يشاء لو [تزيلوا لعذب] [نا الذي كفروا] من [هم] [عذابا أليما]). [الفتح: ٥٢].

إن مدى هذه القضية يتجاوز حدود العيد ومناسبته، لكنه قراءة في

الواقع التربوي والدعوي.

إن الانطلاق مع العواطف والمشاعر والاستجابة لندائهما دون الوعي بآثار ذلك

على بناء النفوس إن هذا قد يقود لمواقف إيجابية من التفاعل والتعاطف، لكنه قد يقود إلى خلل في بناء

النفوس.

قد يقود إلى بناء نفوس لا ترى إلا الصور القائمة السوداء وتغيب عنها الصور المشرقة، نفوس

تعيش في صراع مع الفرح والاستبشار.

وهذا التأثير يمتد إلى عطاء هذه الفئة من الناس؛ فيؤثر على عطائها

الدعوي وعطائها التربوي.

□ □ يفترض كثير من الناس العلاقة الموجبة بيه ارتفاع وتيرة النقد والأسى

والرؤية القائمة وبيد الغيرة والحمية لديه، وهو افتراض لا يوجد ما يؤيد صحته.

وحية تسود لدى المربي

النظرة القائمة الموهلة في البحث عن الأشجان والمواجه يترك ذلك أثره البالغ على الجيل الذي ينشئونه،

فينشأ يحمل القدر نفسه من هذه المشاعر السلبية.

حيه يزيد الملح في الطعام، أو يبالغ الطاهي في كمية

المحسنات يفقد ذلك قيمته ويتحول إلى طعام مؤذ لصاحبه يمنع استساخه ما يأكل.

وهكذا حيه يزداد الحديث عن

المواجه والفواجه والمآسي يتخلف هذا الحديث عن وظيفته في الحث على التفاعل والإيجابية، وفي تحريك

النفوس للعمل والإصلاح، إلى عامل من عوامل التئيبس وقتل الأفكار الواحدة ووأد التناول.

وبقدر ما

يحتاج أبنائنا وبناتنا اليوم إلى استنارة مشاعرهم وعواطفهم نحو أمتهم ومجتمعهم، فهم بحاجة إلى إشاعة

الأمل والاستبشار في النفوس، وإلى إحياء التناول فقد كان المربي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير،

وكان يعجبه الفأل، وكان يقول: الطيرة شرك وخيرها الفأل، كان صلى الله عليه وسلم يعيش هذا الشعور وهو

يعيش أحوالا من المد والجزر في واقع المسلمين آنذاك، يعيشها في وقت السلم والحرب، في وقت النصر

وتخلفه، في وقت الجوع والمسغبة ووقت السعة والرخاء.

إنها ليست دعوة لتجاهل الصور السلبية ولا إلى

التعويض منه شأن التفاعل مع مواجع الأمة، لكننا دعوة إلى التوازن والاعتدال، وبالأخص في مواسم الأفراح

والبهجة فلكل مقام مقال.

ودعوة إلى التعامل مع كافة أوتار النفس البشرية، مع الرجاء والخوف، مع الأمل

والتوجس، مع الاطمئنان والقلق، مع العزيمة والجد والتدبير والترويخ.